

غير هم عنها ومن قال بأن دواعي الراحة تطيل حبال الآجال يستعظم على أهل باريز لم
لم يعبروا أكثر من عامة الخلق وعندهم النعيم المقيم والخير العيم.

الرسالة العذراء

في موازين البلاغة وأدوات الكتابة كتب بها أبو اليسر إبراهيم بن محمد بن المدبر

بسم الله الرحمن الرحيم

فتى اله بالحكمة ذهنك، وشرح بها صدرك وأنطق بالحق لسانك، وشرف به بيانك، وصل
إلي كتابك العجيب الذي استفهني فيه بمجموع كنسك جوامع أسباب البلاغة،
واستكشفتني عن غوامض آداب أدوات الكتابة، سألتني أن أقف بك على وزن عذوبة
النقظ وحلاوته، وحدود فخامة المعنى وجزالته، ورشاقة نظم الكتاب ومشاكلته سرده،
وحسن افتتاحه وختمه، وانتهاء فصوله، واعتدال وصوله وسلامتهما من الزلل، وبعدهما
من الخطل، ومتى يكون الكاتب مستحقاً اسم الكتابة، والبلغ مسئلاً له معاني البلاغة، في
إشارته، واستعارته، وإلى أي أدواته هو أحوج، وبأي آلاته هو أعجل إذا حصص الحق.
ودعي إلى السبق، وفهسته وأنا راسم لك أيديك الله من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك،
ويعبر عن جملة سؤالك، وإن طولت في الكتاب وعرضت وأطنبت في الوصف وأسهرت،
ومستقص على نفسي في الجواب على قاصر استقصائك في السؤال، وإن أخل به التيات
الحال، ومكون الحركة، وفتور النشاط، وانتشار الروية، وتقسيم الفكر، واشتراك
القلب، والله المستعان.

اعلم أيديك الله إن أدوات ديوان جمع الحاسن وآلات المكارم طاعة منقادة لهذه الصناعة
التي خطبتها وتالية تابعة لها وغير خارجة إلى حجد أحكامها ولا دافعة لما يلزمها الإقرار به

لها أضراراً منها إليها وعجزاً عنها فإن تقاضت نفسك عليها ونازعتك همتك إلى طلبها فاتخذ البرهان دليلاً شاهداً والحق إماماً قائداً يقرب مسافة ارتيادك ويسهل عليك سبل مطالبها واستوهمب الله توفيقاً تستجح به مطالبك، واستنجد رشداً يقبل إليك بوجه مذهبك، فاقصد في ارتيادك، وتأمل الصواب في قولك وفعلك، ولا تكن إلى جحود قصد السابق بالنجاح ولا تخرج إلى إهمال حق المصيب بالمعاندة والإنكار ولا تسخف بالحكمة ولا تصغرها حيث وجدتها فترحل نافرة عن مواطنها من قلبك وتظعن شاردة عن مكائدها من بالك، وتتغنى بعد العبارة من قلبك آثارها وتنطس بعد الوضوح أعلامها واعلم أن الاكتساب بالصنم والتكلف وطول الاختلاف إلى العناء ومدارسة كتب الحكماء فإن أردت خوض بحار البلاغة وطلبت أدوات الفصاحة فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه في تلقيح ذهنك، واستنجاح بلاغتك، ومن نوادر كلام النامى ما تسعين به ومن الأشعار والأخبار والسير والأسماء ما يتسع به منطقك، ويعذب به لسانك ويطول به قنك، وانظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب ومعاني العجم وحدود المنطق وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وتوقيعاتهم وسيرهم ومكائدهم في حروبهم بعد أن تتوسط في علم النحو والتصريف والنقطة والوثائق والشروط ككتب السجلات والأمانات فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب وتظهر في نزع أي القرآن في مواضعها واجتلاب الأمثال في أماكنها واختراع الألفاظ الجزلة وقرض الشعر الجيد وعلم العروض، فإن تضمين المثل السائر والبيت الغدير مما يزين كتابتك ما لم تخاطب خفيفة أو منكأً جميل القدر فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء والجلنة والرؤساء عيب واستهجان للكتب إلا أن يكون الكاتب هو القارض

لنشعر والصانع له فإن ذلك مما يزيد في أهتته ويدل على براعته، وإن شذوت من هذه العلوم ما لا يشغلك محله، وتقتب من هذه الفنون ما تسعين به على إبطالة قنك وتقوم أود بيانك.

بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة، حلو الشئثل، عذب الألفاظ، دقيق الفهم حسن القامة بعيداً عن القدماء خفيف الروح، حاذق الحس، محكاً بالتجربة، عالماً بحلال الكتاب والسنة وحراميهما، وبالمناوك وسيرها وأيامها، وبالدهور في تقنيها وتداولها، مع براعة الأدب، وتأليف الأوصاف، ومشاكلة الاستعارة، وحسن الإشارة وشرح المعنى بمثل من القول حتى تنصب صوراً منطقية تعرب عن أنفسها، وتدل على أعيانها، لأن الحكماء قد شرطوا في صفات الكتاب طول القامة، وصغر الهامة، وخفة اللهازم، وكثافة النحية، وصدق الحس، ولطف المذهب، وحلاوة الشئثل وملاحة الزي حتى قال بعض المهالبة لولده: تزويوا بزي الكتاب فإن فيهم أدب المناوك وتواضع السوقة.

وخاطب كلاً على قدر أهتته، وجلالته، وعنده وارتفاعه، وتفطنه وانتباهه، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام فأربعة منها للطبقة العلوية وأربعة دونهما ولكل طبقة منها درجة ولكل قسمة حظ لا يتسع لنكات البليغ أن يقصر بأهلها عنها، ويقنب معناها إلى غيرها فالطبقة العليا الخلافة التي أعلى الله شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير والمخاطبة والتمرسل، والطبقة الثانية الوزراء والكتاب الذي يخاطبون الخلفاء

بعقولهم وألسنتهم، ويوتقون الفتوق بآرائهم ويتجنبون بآدابهم الثالثة أمراء ثغورهم، وقواد جيوشهم، يخاطب كل امرئ منهم على قدره وبما حمل من أعباء أمورهم، وجلال

أعمالهم، الطبقة الرابعة القضاة فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء وحلية الفضلاء فعندهم
أبهة السلطنة وهيبة الأمراء.

أما الطبقات الأربع الأخرى فالملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب وأفضاهم
تفضيلهم فيها، والثانية وزراءهم وكتابهم وأتباعهم الذي بهم تفرع أبوابهم وبعنايتهم
تستباح أموالهم والثالثة هم العلماء الذين يجب توقيرهم في الكتب لشرف العلم وعنو
درجة أئمة، الرابعة لأهل القدر والجلالة والظرف والخلوة والعلم والأدب فإنهم
يضطرونك بمدة أذهابهم وشدة تمييزهم وانتقادهم إلى الاستقصاء على نفسك في
مكاتبتهم، واستغنيا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة لاستغنائهم بتجارهم عن
هذه الآلات واشتغالهم بمصالحهم عن هذه الأدوات ولكل طبقة من هذه الطبقات معان
ومذاهب يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك إليهم في كتبك وتزن كلامك في مخاطبتهم
بميزانه وتعطيه قسسه وتوفيه نصيه فإنك متى أضعت ذلك لم آمن بك أن تعدل بهم غير
طريقهم وتجري شعاع بلاعتك في غير مجراه وتنظم جوهر كلامك في غير منك فلا يفيد
المعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً جزلاً لائقاً بمن كاتبته ومشاهداً لمن راسنته، وإن الباسك
المعنى وإن شرف وصلح لفظاً مختلفاً عن قدر المكتوب إليه لم تجر به عادتهم فتجيب للنسب
وإخلال بقدره وظلم لحق المكتوب إليه ونقص مما يجب له كما أن في امتناع تعارفهم وما
انتشرت به عادتهم وجرت به سنتهم وضعاً لقدرهم وخروجاً من حقوقهم، وبنوعاً إلى
غير غاية مرادهم وإيقاظاً لحجة أدبهم ضمن الألفاظ المرغوب عنها والصدور المستوحش
منها في كتب السادات والأمراء والملوك على اتفاق المعاني مثل أبقاك الله طويلاً وعرك
منياً وإن كنا نعلم أنه لا فرقان بين قولهم أطل الله بقاءك وبين قولهم أبقاك الله طويلاً

ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً وأنبه قدراً في مخاطبة المنوك كما أنهم جعلوا أكرمك الله وأبقاك أحسن منزلة في كتب الظرفاء والأدباء من جعلت فداك على اشتراك معناه واحتماله أن يكون فداء من الخير كما يكون فداءً له من الشر ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص فداك أبي وأمي لكرهت أن يكتب بها أحد على أن كتاب العكر وعوامهم قد أولعوا بهذه النغمة حتى استعنوها في جميع محاوراتهم وجعلوها هجيراًهم في مخاطبة الشريف والوضيع والصغير والكبير ولذلك قال محمود الوراق:

كل من حل سر من را من الناس ومن يصاحب الأملاك

لو رأى الكلب مائلاً في طريق ... قال للكلب يا جعلت فداك

وكذلك لم يميزوا أن يكتبوا بمثل أبقاك الله وأمتع بك إلا إلى الحرمة والأهل والتابع والمنقطع إليك وأما في كتب الإخوان فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات:

أحلت عما عهدت من أدبك ... أم نلت منكاً فتهت في كتبك

أم هل ترى أن في التواضع للأخ ... ولمن نقصاً عليك في حبك

أتعبت كيفك في مكاتبي ... حبك مما يزيد في تعبك

إن جفاء كتاب ذي أدب ... يكتب في صدره وأمتع بك

فكتب إليه محمد بن عبد الملك:

أنكرت شيئاً فلست فاعله ... فلن تراه بخط في كتبك

فأعف لتلك النفوس عن رجل ... يعيش حتى الممات في أدبك

كف أخون الإخاء بالعلي ... وكل شيء أنال من سبك
إن يك جهلاً أتاك من قنبي ... فقد بفضل عني في أدبك

وأما صدور السلف كانت من فلان بن فلان إلى فلان كذلك جرت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العلاء بن الحضرمي وإلى أقيال اليمن وإلى كسرى وقبصر وكتب أصحابه والتابعين كذلك حتى استخلص الكتاب هذه المخادعات من بدائع الصدور واستبطوا لطيف الكلام ورتبوا لكل رتبةً وجروا على تلك السنة الماضية إلى عصرنا هذا في كتب الخلفاء والأمراء وثبتوا على ذلك المهاج في كتب الفتوحات والأمانات والسجلات ولكل مكتوب إليه قدر ووزن ينبغي للكتاب أن لا يتجاوز به عنه ولا يقصر به دونه، وقد رأيتهم عابوا الأخص حين خاطب المنوك بمخاطبة العوام في قوله:

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذق الحديث يقول ما لا يفعل

فهذا معنى صحيح في المدح ولكنهم أجلوا أقدار المنوك أن يمدحوا بما يمدح به العوام لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان مدحاً فهو واجب على كل والمنوك لا يمدحون بالفروض الواجبة وإنما يحسن مدحهم بالنوافل لأن المادح لو قال لبعض المنوك إنك لا تزي بحيلة جارك وإنك لا تخون ما استودعت وإنك تصدق في وعدك وتفي بعهديك كان قد أثنى بما يجب ولكنه لم يصل بشائعه إلى مقصد وقال ما لا يستحسن مثله في المنوك.

ونحن نعلم أن كل تولى من أمور المؤمنين شيئاً فهو أمير المؤمنين غير أنهم لم يطنقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ونعلم أن الكيس هو العقل إذا عوا به ضد الحق ولكنك لو وصفت رجلاً فقلت: إن فلاناً لعاقل كنت قد مدحته عند الناس ولو قلت أنه كيس كنت قد قصرت في وصفه وقصرت به عن قدره إلا عند أهل العلم باللفظة لأن العامة لا

تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيث جرت منها العادة في استعمالها في الظاهر مع الحدائث والعزة وخساسة القدر وصغر السن فقد روينا عن علي رضي الله عنه أنه تبجح بالكيس حين بنى الكوفة وقال:

أما ترائي كيساً مكيساً ... بنيت بعد نافع مخيساً ... حصناً حصيناً وأميراً كيساً
وقال آخر: ما يصنع الأحمق المرزوق بالكيس ونعلم أن الصلوة وحي غير أقم قد حرموها إلا على الأنبياء كذلك روي عن ابن عباس (رضه) وسمع سعد بن أبي وقاص أخاً له ينبي ويقول: ياذا العارج فقال نحن نعلم أنه ذو المعارج ولكن ليس كذلك كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كنا نقول: لبيك اللهم لبيك وكان أبو إبراهيم المزني قال في بعض ما طالبه به داود بن عني خلف الأصمهاقي فقال: وإن قال كذا فقد خرج من الملة والحمد لله فانتقد عليه ذلك داود وقال: تحمد الله علي أن يخرج مسلماً من الإسلام هذا موضع استرجاع ولنحمد مكان ينيق به ونحن نقول على المصية إنا لله وإنا إليه راجعون.

فامتثل هذه الرسوم والذاهب وأجر على آدابهم فنكل رسوم امتثلوها وتحفظ في صدور كتبك وفصولها وافتتاحها وخاتمها وضع كل معنى في موضع ينيق به وتخبر لكل لفظة معنى يشاكلها وليكن ما تختتم به فصولك في موضع ذكر الشكوى بمثل والله المسحون وحسبنا الله ونعم الوكيل، وفي موضع ذكر النبوى نسأل الله دفع الخذور ونسأل الله صرف السوء وفي موضع الذكر المصية بمثل إنا لله وإنا إليه راجعون، وفي موضع ذكر النعم بمثل والحمد لله خالصاً والشكر لله واجباً، فإنها مواضع ينبغي للكاتب تفقدها فإنما يكون كاتباً إذا وضع كل معنى في موضعه وعنى كل لفظة على طبقها من المعنى فلا

يجعل أول ما ينبغي له أن يكتب في آخر كتابه في أوله ولا أوله في آخره فإني سمعت جعفر بن محمد الكاتب يقول: لا ينبغي للكاتب أن يكون كاتباً حتى لا يستطيع أحد أن يؤخر أول كتابه ولا يقدم آخره.

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل ما أتى في آي القرآن من الإيصال والحذف ومخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص لأن الله سبحانه وتعالى إنما خاطب بالقرآن أقواماً فصحاء فههنا عنه جل ثناؤه أمره ونهيته ومراده والرسائل إنما يخاطب بها قوم دخلاء على النغة لا علم لهم بنسب العرب وكذلك ينبغي للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى المتبسر فإنه إن ذهب على مثل قوله تعالى وأسأل القرية وأسأل الغير بل مكر الليل والنهار احتاج أن يبين بل مكرهم بالليل والنهار ومثله في القرآن كثير.

ولا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر لأن الشعر موضع اضطرار فاغترفوا فيه الإغراب وسوء النظم والتقديم والتأخير والإضرار في موضع الإظهار فمن الحذف قول الخطيئة من صنع سدام يريد سليمان بن داود وكقول الآخر: والشيخ عثمان أبو عفان وكقول الآخر:

وسائلة بثعنة بن سير ... وقد عنقت بثعنة العنوق

أراد ابن سيار وكقول النابغة: ونسج سليم كل قضاء زائل يريد سليمان وكذلك ينبغي في الرسائل أن لا يصغر الاسم موضع التعظيم وإن كان ذلك جائزاً على مثل قولهم دويهة وجذيل وعريق. وما لا يجوز في الرسائل كنت إياك وأعني إياك وإساءة النظم في التأليف في الشعر كثير وتكون الكلمة بشعة حتى إذا وضعت وقرنت مع أخواتها حسن حالها وراقت كقول الحسن بن هاني:

ذو حضر أفنت من كد القبل والكد كذمة قلقة لاسيما في الرقيق والغزل والنشيب غير
أنها لما وقعت في موضعها حسنت كما أن اللفظة العذبة إذا لم توضع موضعها نفرت قال:
رأت عارضاً جونا فقامت غريرة ... بمسحاتها قبل الظلام تبادره

فأوقع الجلف الجاني هذه اللفظة غير موقعها وظلها إذ جعلها في غير مكانها لأن المساحي
لا تكون ولا تصلح للغرائر وأين كان عن قول الشاعر:

غرائر ما حدثن يهديهن آنسة ... فما فوقه منهن غير غرائر

حديث لو أن العصم تدعى به أتت ... ودون يد الفحشاء حد البواتر

فتخير من الألفاظ أرجحها وزناً، وأجزأها معنى، وأليقها في مكانها، وليكن في صدر
كتابك دليل واضح على مرادك وافتتاح كلامك برهان شاهد على مقصدك حيثما
جريت فيه من فنون العلم ونزعت نحوه من مذاهب الخطب والبلاغات فإن ذلك أجزل
لمعناك وأحسن لا تساق كلامك ولا تطين صدر كلامك إطالة تخرجه من حده، ولا
تقصر به عن حقه، ولو صور اللفظ وكان له حد لوقفك عليه غير أقم في الجملة كرهوا
أن يزيدوا سطور كتب الملوك على سطرين وهذه إشارة لا تعبر إلى عن الجملة من
المقصود إليه لأن الأسطر غير محدودة.

واعلم أن أول ما ينبغي لك أن تصلح آلتك التي لا بد لك منها وأدواتك التي لا تتم
صناعتك إلا بها وهي دواتك فابدأ بعبارتها وإصلاحها وتخبر لما ليقة نقية من الشعر
والودح لتلا يخرج على حرف قلبك ما يفسد كتابك ويشغلك بتخفيفه وخذ من المداد
الفارسي خمسة دراهم ومن الصمغ العربي درهماً وعقصةً مسحوقاً نصف درهم ورماد
القرطاس المحرق درهمين ثم تحقها وتغربلها وتجمعها ببياض البيض ثم بنلقها واجعلها في

الظل فإذا احتجت إليها أخذت منها مقدار حاجتك فكسرتة وحشوت به دواتك وإذا
نقعت في ماء الملق حتى ينحل ويذوب ويختصر ثم أمددت من مائه دواتك كان أجود
وأبقى ثم اختر بعد ذلك من أنابيب القلم الذي يصلح لكتابة القراطيس أقله عقدة
وأكتفه لحماً واجلبه قشراً واعدله استواءً وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت فإنها ما
تصلح إلا للكواعد والرقوق.

واجعل قلمك براية حادة فإن تعثر يد الكاتب وقت قطع القراطيس ناقص مروءته ومحل
بظرفه وإن قدرت أن لا تقطع القراطيس إذا فرغت من كتابك إلا بخروطم قلمك فافعل
فإن ذلك أكمل لمروءتك وأبدع لظرفك وقطعك.

واسعمل ليري القلم سكيناً طواويسياً ملق الحد وميض الطرف فيكون ذلك عوناً لك
عنى بري أقلامك فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس ولئن قيل كأنه الرمح
الرديني فقد قال الكاتب كأنه القلم البحري، وتفقد الأنبوبة قبل بريكها لئلا تجعلها
منكوسة وابرها من ناحية نبات القصبة وأرهف ما قدرت جانبي قلمك ليود ما انتشر من
المداد ولا تطل شقه فإن القلم لا يمج المداد من شقه إلا مقدار ما احتضنت شتاه فارفع
شتيه ليجمع لك حواشي تحضيره وإما قط القلم فعلى قدر القلم الذي يتعاطاه الكاتب
من الخط غير أن المسهل لا يكاد يتسلسل إلا بالقلم المربع القط كما أن كتب الملوك
والسجلات لا تحسن إلا بالقلم الخرف الكوفي وأما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه
والمقصود إليه في الثواب والمهات.

ورأيت كثيراً من الكتاب يختارون قلم النرجس لتجده وتجانسه ومن اللازورد أبسط منه
وأقوم حروفاً وأما الموشع والمولع والمليج والمنسم والمهم فعلى قدر رشاقة خط الكاتب

وحلاوة قلته وأما حسن الخط فلا حد له قال علي بن زبير النصراني الكاتب أعنك
الخط في كلمة واحدة لا تكتب حرفاً حتى تستفرغ مجهودك في كتابة الحرف المبدوء به
وتجعل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى لا تعجل عنه إلى غيره، وإياك والنقط والشكل
في كتابك إلا أن تمر بالحرف المعضل الذي تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراج
فإن يشكل علي الحرف أحب إلي من أن يعاب بالنقط والأعجام، وقال المأمون لكتابه
إياي والثونيز في كتبكم يعني النقط ولذلك قال ابن هاني:

لم ترض بالأعجام حين كتبته ... حتى كتبت السب بالأعراب

ولا تغفل الصلاة على النبي علي الصلاة والسلام فقد قال أبو العناء أن بني أمية هم
الذين كانوا أمروا كتابهم فطرحوا ذلك من كتبهم فجرت عادة الكتاب إلى يومنا هذا
عني ما سنوه، وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تجعلوني كقدح الراكب ولكن اجعلوني
في أول الدعاء وأوسطه وآخره صلى الله عليه وعلى آله وسلم أولاً وأوسط وأخراً.
وأحب أن تجعل بدل الإشارة التراب فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتربوا كتبكم
فإنه أنجح حاجة ولا تدع التاريخ فإنه يدل على تحقيق الأخبار وقرها وبعدها وانظر إلى ما
مضى من الشهر وما بقي منه فإن كان الماضي أقل من نصف الشهر قلت هكذا ليلة
مضت من شهر كذا وإن كان الباقي أقل من النصف قلت لكذا أيضاً بقيت وقد قال
بعض الكتاب إن الماضي من الشهر إن تحصيه والباقي لا تحصيه لأنك لا تدري أيتم
الشهر أو ينقص وليس هذا بشيء لأن تاريخ الكتاب ليس من الأحكام في شيء وما على
الكاتب أن يكتب إلا بما ظهر وتبين لا بما يظن.

ولا تجعل سحرة كتبك غليظة إلا في العهود والسجلات التي تحتاج إلى خواتمها وطوايعها
 فإن محمد بن عيسى الكاتب كاتب آل طاهر أخبر عنهم أن عبد الله بن طاهر كتب إلى
 العراق في أشخاص كاتب كان كتب إليه فكتب وغلظ سحرة كتابه فرد الكتاب إليه
 فقدم عليه راجياً لبره وجائزته فقال عبد الله بن طاهر إن كان معك مسحرة فاقطع خزم
 كتابك وإنه رف ورائك وكذلك لا تعظم الطينة فني المثل من عظم الطينة فإنه مظلوم
 ولا تطعمها إلا بعد عنوانها فإن ذلك مراد بهم وقد يجب عينك عنم الصنق القراطيس
 ومحوها ولم أر شيئاً في إلصاقها ألطف من أن ينقع الصنع العربي في الماء ساعة حتى يذوب
 ثم يلصق به وكذلك ماء الكثيرة والنشاستج ثم تطويه طياً رقيقاً وتجعله في منديل نظيف
 ويرفع تحت وسادة حتى يجف وأما محوها فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه غير أنه ينبغي له
 أن لا يلقط السواد من القراطيس إلا بمثل الشع المسخن والنبان المضغ وما أشبهها
 ثم يكون لقطه رويداً رويداً كما لقط جانباً حوله إلى الجانب الآخر

وأما قراءة الكتب المختومة والتلطف لنقص خواتمها فبنا لا نذكره خوفاً من سفيه.

وأما تصنيع الأسرار حتى لا يقرأها غير المكتوب إليه فقيه أدب وقد تعلقت العامة بالقلمي
 والأصمهاقي فيجب أن يبدل الحروف تبديلاً يخفي وألطف من ذلك أن تأخذ لبناً طيباً
 فكتب به في قراطيس فيذر المكتوب إليه عليه رماداً حاراً من رماد القراطيس فإنه يظهر
 وأن كتب بماء الزاج وذر عليه العفص المدقوق بمجاز أو بماء العفص وذر عليه شيئاً من
 الزاج أو ينقع شيئاً من وشق ثم تكتب به ثم تثر عليه الرماد فإنه يظهر وإن أحببت لا
 يقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكبه بمراة السحفاة وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء
 كتاب فزن النفضة قبل أن تخرجها بميزان التصريف إذا عرضت والكنة بعبارة إذا

سخت فربما مرّ بك موضع يكون مخرج الكلام إذا حسب أنا فاعل أحسن من أنا أفعل واستفعلت أحنى من فعلت.

وأدر الألفاظ في أماكنها وأعرضها على معانيها وقبها على جميع وجوهها حتى تقع موقعها ولا تجعلها قلقة نافرة فتى صارت كذلك هجنت الموضع الذي أردت تحميمه وأعلم أن الألفاظ في أماكنها كترقيق الثوب الذي إذا لم تتشابه رقاعه تغير حسنه قال الشاعر:

إن الجديد إذا ما زيد في خلق... تبين الناس أن الثوب مرقوع

وارتصد لكتابك فراغ قلبك وساعة نشاطك فوجد ما يمتع عينك بالكد والتكلف لأن سماحة النفس بمكنونها وجود الأذهان بمخزونها إغما هو مع الشهوة المفرطة في الشر واثبة الغالبة فيه أو الغضب الباعث منه ذلك، قيل لبعضهم لم لا تقول الشعر قال: كيف أقوله وأنا لا أغضب ولا أطرب، وهذا كنه إن جرئت من البلاغة على عرق وظهرت منها على حظ فأما إن كانت غير مناسبة لطبعك ولا واقعة شهوتك عليها فلا تنضي مطيتك في التماسها ولا تعب بدنك في ابتغائها وأصرف عنانك عنها ولا تطمع فيها باستعارتك ألفاظ الناس وكلامهم فإن ذلك غير مثير لك ولا مجد عينك ومن كان مرجعها فيها إلى اغتصاب ألفاظ من تقدم والاستضاءة بكوكب من سبقه وسحب ذيل حنة غيره ولم يكن معه أداة تولد له من بنات قلبه ونتائج ذهنه الكلام الحر والمعنى الجزل فلم يكن من الصناعة في غير ولا نفي.

عنى أن كلام العظماء المطبوعين ودرس رسائل الثقلين على كل حال مما يفتق النسان ويوسع المنطق ويشحذ الطبع ويستثير كوامنه أن كانت فيه سجية قال العتاي: ما رأينا

فإنما تصرفنا فيه من فنون العلم وجرينا فيه من صنوف الآداب شيئاً أصعب مرأياً ولا أوعر مسكاً ولا أدل على نقص الرجال ورجاحتهم وأصالة الرأي وحسن التمييز منه واختياره من الصناعة التي خطبتها والمعنى الذي طنبه وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ وقصدك بها إلى موضعها لأن النقطة تكون أخت النقطة وقسيستها في الفصاحة والحسن ولا يحسن في مكان غيرها وبتنجز هذه المعاني ومناسبة طبائع جهابذتها ومشاكلتها أرواحهم جعلوا الكتابة نسباً وقرابة وأوجبوا على أهلها حفظها.

سهل بن وهب: الكتابة نفس واحدة تجزأت في أبدان مفترقة ومن لم يعرف فضلها وجهل أهلها وتعدى بهم رتبهم التي وصفهم الله بها فإنه ليس من الإنسانية في شيء. قالت البرامكة: رسائل المرء في كنه دليل على عقده وشاهد على غيبه قال الشاعر:

وتكرروا المرء في لحظ عينه ... وتعرف عقل المرء حين تكاتبه

آخر:

وشعر الفتى يدي غريزة طبعه ... وبالكاتب يبدو عقده وبلاغته

الشعبي: يعرف عقل الرجل إذا كتب وأجاب، العجبي: عقول الناس مدونة في كتبهم، ابن المقفع: كلام الرجل واقد عقده، وشبهت الحكماء المعاني بالغواني والألفاظ بالمعارض فإذا كسا الكاتب البليغ المعنى الجزل لفظاً رائعاً وأعاره مخرجاً سهلاً كان لنقلب أحنى ولنصدر أسمى ولكنه بقي عليه أن ينظمه في سنكه مع شقائقه كالنؤلؤ المشور الذي يتولى نظمه الخاذق والجوهري العالم يظهر بإحكام الصنعة له حسناً هو فيه ومنحة بهجة هي له كما أن الجاهل إذا وضع بين الجوهريتين خرزة هجن نظمه وأطفأ نوره، كان حبيب بن أوس ربما وقع على جوهرة فجعلها بين بعرتين قال الشاعر:

ولو قرنت بدرٍ فاخرٍ خرواً ... من الزجاج لقلنا بتسما نظما

والياقوت حسن وهو في جيد الحسناء أحسن وكذلك الشعر الجيد موندق ولكنه من أفواد
العظماء آنق والتاج الشريف هي المنظر وهو على الملك أبهى كما قال ابن الرقيات يعتدل
التاج فوق مفرقه قال أبو العتاهية لابن منذر: بلغني أنك تقول الشعر في اندهر والقصيد^ة
في الشهر فقال نعم لو رضيت لنفسي أن أولف تأليفك وأقول يا عتب بادرة الغواص
لقلت في اليوم واللييلة ألف قصيدة وقال عمر بن لجأ لشاعر: أنا أشعر منك قال: ولم
قال: لأنك تقول البيت وابن عمه وأنا أقول البيت وأخاه.

فإن منيت بحب الكتابة وصناعتها والبلاغة وتأليفها وجأش صدرك بشعر معقود أو دعك
نفسك إلى تأليف الكلام المنشور وهياً لك نظم هو عندك معتدل وكلام لديك متسق فلا
تدعونك الثقة بنفسك والعجب بتأليفك أن تهجم به على أهل الصناعة فإنك تنظر إلى
تأليفك بعين الوالد لولده والعاشق إلى عشيقه كما قال حبيب:

ويسميء بالإحسان ظناً لا كمن ... هو بابنه وبشعره مفتون

ولكن اعرضه على البنفاء والشعراء والخطباء ممزوجاً بغيره فإن أصغوا إليه وأذنوا له
وشخصوا بالأبصار واستعادوه وطنبوه منك وامترج فاكشف من تلك الرسالة والخطبة
والشعر اسمه وانسبه إلى نفسك وإن رأيت عند العيون منصرفة والقلوب عند واهية
فاستدل به على تخلفك عن الصناعة وتقاصر عنك واسترب رأيت عند رأي غيرك من
أهل الأدب والبلاغة فقد بلغني أن بعض المنوك دعا إنساناً إلى مؤانسته حتى ارتفعت
الحشة بينهما فأخرج له كتاباً قد غشا بالجلود وجمع أطرافه بالابريسم وسوى ورقه
وزخرف كتابته وجعل يقرأ عليه كلاماً قد حبره فيه وغقه عند نفسه وجعل يستحسن ما

لا يحسن ويقف على ما يستقل قراءته حتى أتى على الكتاب فقال له كيف رأيت ما قرأت عليك فقال أرى عقل صانع هذا الكلام أكثر من كلامه ففطن له ولم يعاوده إلى أن وقف به على تنور مسحور ثم قذف بالكتاب في النار وهذا رجل في عقله فضلة وفيه تميز.

وإنما البنية فيمن إذا بنت له سوء نظمه واختياره ووقفته على سخافة لفظه هجرك وعاداك فاجعل هذا الأصل ميزاناً تزن به مذهبك في رسائلك وبلاغتك ولا تخاطبن خاصاً بكلام عام ولا عاماً بكلام خاص فبني خاطبت أحداً بغير ما يشاكنه فقد أجريت الكلام غير مجراه وكشفته وقصده بالكلام الشريف للرجل تنبيه لقدر كلامك ورفع لدرجته قال:

فلنم أمدحه تفخيماً لشعري ... ولكني مدحت بك المديحا

فلا تخرجن كلمة حتى تزنها بميزانها فتعرف تمامها ونظامها ومواردها ومصادرها وتجنب ما قدرت الألفاظ الوحشية وارتفع عن الألفاظ السخيفة واقتضب كلاماً بين الكلامين. الجاحظ: ما رأيت قوماً أمثل طريقة في البلاغة من هؤلاء الكتاب فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً: وقال خالد بن صفوان: أبغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج الذي صحت مبانيه وحسنت معانيه ودار على السن القائلين وخف على آذان السامعين ويزداد اشكوكم له بالبلاغة من إذا حاول صنعة كتاب سالت على قلبه عيون الكلام من يبايعها وظهرت من معادها وتدرج من مواطنها من غير استكراه ولا اغتصاب.

حدثنا صديق لنعالي قال له: اعمل لي رسالة واستند مرة بعد أخرى فقال له: ما أرى بلاغتك إلا شاردة فقال له العتاي. لما تناولت القلم تداعت علي المعاني من كل جهة فأحييت أن أترك كل معنى يرجع إلى موضعه ثم أجنبي لك أحسنها. أمني يزيد بن عبد الله أخو ديناراً علي كاتب له وأعجل عليه الإملا لفتعثر قنم الكاتب عن تقييد إملا له فقال متحرشاً: اكتب يا حمار فقال الكاتب: أصلح الله الأمير إنه لما هطفت شآيب الكلام وتدافقت سيوله علي حرف القلم كل القلم عن إدراك ما وجب عليه تقييده فليتكسر الأمير عذري فكان جوابه أبلغ من بلاغة يزيد. وكلما احنولى الكلام وعذب ورق وسهنت مخارجه كان أسهل ولوجاً في الأسماع وأشد اتصالاً بالقلوب وأخف علي الأفواه ولا سيما إذا كان المعنى البديع مترجماً للفظ موق شريف ومعبراً بكلام مؤلف رشيق لم يشبه التكلف بميسمه ولم يفسه التعقد باستهلاكه كقول ابن أبي كريمة.

قفاه وجه حسن والذي ... قفاه وجه يشبه الضم

فهجن المعنى بتوخر مخارج الحروف وأخذ الحسن بن هاني فسيهه. وقال بذ حسن الوجوه حسن قفاكا وكلاهم من حسان حيث يقول:

قفاؤك أحسن من وجهه ... وأملك خير من المنذر

وانظر إلى سلامة الحسن بن سهل حيث قال:

شرست بل لت بل قابلت ذاك بدا ... فأنت لا شك فيك السهل والجبل

وكتب عيسى بن طيبة كتاباً إلى بعضهم فعقد كلامه وجاز المقدار في التنطع فوق له:

أني يكون بليغاً ... من اسمه كان عياً

وثلت الحرف منه ... إذا كتبت مياً

ودخل كاتب على مريض فوجده يئن فخرج من عنده فوجد طائراً يقال له الشفانين
بباب الطاق فاشتراه وبعث به إليه وكتب كتاباً يتنطع فيه ويذكر أنه يقال له الشفانين
شفاء من الأنين فأجابه لو عطست ضباً لم تكن عندي إلا نبطياً فاقصر عن بغضك وسهل
كلامك ومثله بمحمد الموصلي يهجو حبيب بن أوس الطائي:

أنت عندي عرني ... عرني والسلام

شعر ساقيك وفخ ... ذيك خزامي وقمام

وقفاً تحلف ما أن ... أعرفت فيه الكرام

أنا ما ذنبي إن الذ ... نبي فيك الأنام

وسألني بعض أهل العلم أن أكتب له قصة إلى جعفر بن عبد الواحد القاضي وقال: اكتب
لي قصة سهلة بليغة الألفاظ فقلت له: دعني أكتب لك ما يصنع للقضاة فغضب وقال ما
أسأل أن تعطيني شيئاً إنما أسألك هذا المعنى الرخيص فاحتملت عبه لذهام فكتبت له
قصة لا تصلح أن تدفع إلا لرؤية بن العجاج يقرؤها أو الطرماح فلما حصلت بيد
القاضي أراد قراءتها فإذا هي مغلفة عليه فقال له: أنت كتبت هذه القصة قال: نعم.
فقال: إذا فقرأها فذهب ليقراها فإذا هي بالسودانية استعجماً عليه فقال له: أصلح الله
القاضي إنما أقرأها في بيتي فقال له: فاطلب حاجتك إذا في بيتك فرجع إلى غضبان أسفاً
يشتم ويؤذي وسألني أن أكتب له قصة على ما أرى فكتبت له كتاباً يشبه أن يكون من
مثله إلى القضاة فقرأها وقضى حاجته وعلم أنه لم يكتب واحدة منهما والكتاب إذا لم
يكن بحاجة صاحبه كان أحد الأسباب المانعة والمعاني كلها ممثلة والكلام مشبعاً ولكن
سياسته صعبة وتأليفه شديد إلا على جهابذته وفرسانه أمراء الكلام يصرفونها كيف

شاؤوا ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ويكون اللفظ الأسبق إلى الأسماع من معناه إلى القلوب.

الجاحظ: كان لفظه في وزن إشارته وطبعه في معناه في مطابقة معناه ذكر الحسن ابن وهب أحمد بن يوسف فقال ما كنت ألفظه آنق أم معناه أو معناه أجزل أم لفظه. والمعاني وإن كانت كامنة في الصدور فإنها مصورة فيها ومتصلة بها وهي كالآليء المنظومة في أصدافها والنار المخبوءة في أحجارها فإن أظهرته من أكنانه وأصدافه تبين حسنه وإن قدحت النار من مكانها وأحجارها انتفعت بها وإلا حذق المستبسط وصواب حركات المستخرج وقصد إشارته وكلما كان الكلام أفصح والبيان أوضح كان أدل على حسن وجه المعنى الخفي بالروح الخفي واللفظ الظاهر بالجسمان الظاهر وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جزل لم تكن العبارة واضحة ولا النظام متسقاً والدال على المعنى أربعة أصناف لفظ وإشارة وعقد وخط.

وذكر أرسطاطاليس خامساً وهي تسمى النصبية وهي الحالة الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة الناطقة بغير لفظ والمشييرة إليه بغير يد وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت وناطق وهي داخلة في جملة هذه المعاني الأربعة وخارجة منها بالهيئة.

ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبها وحلية غير مشاكلة لحلية أختها غير أنها في الجملة كاشفة عن أعيان المعاني وأوضح هذه الدلائل صنفان منها وهما النسان والقلم وكلاهما يترجahan ويدلان على القلب ويستميلان منه ويؤديان عنه ما لا تؤدي هذه الأصناف الباقية.

وأما اللسان فهي الآلة التي يخرج الإنسان بها من حد الاستبهام إلى حد الإنسانية ولذلك قال صاحب المنطق: حد الإنسان الحي الناطق وإنما يبين عن الإنسان اللسان وعن المودة العينان والله سبحانه رفع درجة اللسان فأنتطقه من بين الجوارح بتوحيدة وما جعل الله من عبء عن شيء مثل من لم يعبر عنه.

الأعور التيسري:

لسان الفتى ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقال آخر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما ... جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

الطائي:

ومما كانت الحكماء قالت ... لسان المرء من خدام الفؤاد

لنخط صورة معروفة. وحلية موصوفة وفضيلة بارعة. ليست لهذه الأوصاف لأنه ينوب عنها في الإيضاح عند المشهد ويفضلها في المغيب وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله عز وجل الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم وأقسم به كما أقسم بغيره ثم أقسم بما يكتبه القلم إفصاحاً عن حاله وإعظماً لشأنه وتنبهاً لذكره فقال: وما يسطرون. ومن فضيلة الخط أنه لسان اليد ورسول الضمير ودليل الإرادة. والناطق عن الخواطر. وسفير العقول وروحي الفكر. وسلاح المعرفة. ومحادثة الأخلاء على التناهي. وأنس الأخوان عند الفرقة. ومستودع الأسرار. وديوان الأمور. وترجمان القنوب. والمعبر عن النفوس. والمخبر عن الخواطر. ومورث الآخر مكارم الأول والناقل إليه مآثر الماضي والمخند له حكمته وعلمه والمسامر للعين بسر القلب. والمخاطب عن الناصت. والمجادل عن

السائكت. والمفصح عن الأبكم والمتكلم عن الأخرس الذي تشهد له آثاره بفضائله وأخباره بمناقبه وقد وقعت البلاغة من العلم علو القدر وباذخ العز كأبي مسلم صاحب الدولة فرقت شمله وبددت جمعه ونقضت برمه وأفسدت صلاحه وضععت بنيانه مع ذكائه وتفظنه ومكايده ودهائه وأصالة رأيه وشدة شكيبته وامتناعه على أبي جعفر ونفاره عنه كيف استفزه ابن المقفع وطالح بن عبد القدوس وجبل بن زيد واستمالوه بسحر ألفاظهم وبلاغة أقلامهم حتى نزل من باذخ عزه وجاء مبادراً حتى وقع في الشرك المنسوب له ففترق جمعه وانطقاً نوره وصار خبيراً سائراً وأثراً ورفع القلم خاشع الطرف صغير الخطر لئيم الجنس من ناظريه حتى شافهت بع عنان السماء ورفعت بناءه فوق البناء حتى طلبه الراكب وقصده الطالب وخشعت له الرجال. ولحظته العيون بالوقار. وتمكن من الصنائع ومدت نحوه الأصابع.

فشكرت منه اللفظة. ورجيت منه اللحظة. كسعيد بن عبد الملك بن الزيات وفيه يقول
عني بن الجهم:

أحسن من عشرين بيتاً سداً ... جمعك معانهم في بيت

ما أحوج الملك إلى مطرة ... تغسل عنه وضر الزيت

فأجابه محمد بن عبد الملك:

رقيت في القول إلى خطة ... قدرك فيها قد تعديت

فيرقم الملك فلم تنقه ... حتى غسلنا القار بالزيت

ومدحه حبيب بن أوس بمدحه ويصف قلبه:

لك القلم الأعلى الذي بثباته ... تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

وكان محمد من ألطف الناس ذهناً وأرقهم وأصدقهم حساً وأرشقهم قلماً وأملحهم إشارة إذا قال أصاب وإذا كتب أبلغ وإذا أشعر أحسن وإذا اختصر أغنى عن الإطالة أمره الواثق أن يتلطف بعبد الله بن طاهر ويعلمه أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم وفوض ذلك لابن اسحاق بن إبراهيم فكتب أما بعد فإن أمير المؤمنين رأى أن يخلع ما في يمينك من أمر الجزائر والعواصم فيجعله في شمالك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

سهل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب فقال:

بأبي وأمي ضاعت الأحلام ... أم ضاعت الأذهان والأفهام

من صد عن دين النبي محمد ... إله بأمر المسلمين قيام

إلا تكن أسيافهم مشهورة ... فينا فتلك سيوفهم أقلام

قال عبد الرحمن بن كيسان استعمال الكلام أجدر بإحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال النسان على تصحيح الكلام ولم يختلف في شرف القلم وإنما اختلف في كيفية البلاغة وماهيتها وقد مدحها كل قوم بأوضح عبارتهم وأحسن بيانهم فقال صاحب اليونانيين البلاغة تصحيح الأقسام واختيار الكلام. الرومي: البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة. الفارسي: هي معرفة الفصل من الوصل. الهندي: هي البصر بالحجة والمعرفة لمواضع الفرصة ثم أن يدع الإفصاح بها إلى الكتابة عنها إذ كان الإفصاح أوعر طريقاً وربما الإطراق عنها أبلغ في الدرك وأحق بالظفر. غيره: جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول وقلة الحذف بما التبس من المعاني وغضرمما شرد من اللفظ وتذر ثم قال وزين كنهه وبهاؤه وحلاوته أن تكون الشئائل معتدلة والألفاظ موزونة والنهجة نقية فإن جامع ذلك السن والسنن والجمال وطول

الصست فقد تم كل التمام. وقيل لهندي ما البلاغة فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها أول البلاغة احتمال آلة البلاغة. وذلك أن يكون البليغ رابط اتلجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متحيز للفظ لا يكلم سيد الأمة بكلام ولا الملوك بكلام السوق ويكون في قواه فضل للتصرف في كل طبقة ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح ويصعبها كل التصعبة ويهذبها غاية التهذيب ولا يكون كذلك حتى يصادف فينسوقاً حكيماً ومن قد تعود فضل الكلام وأسقط مشترك اللفظ. أنوشروان لبزر جههر: متى يكون العبي بليغاً فقال إذا وصف بليغاً أرسطاطاليس: البلاغة حسن الاستعارة.

بشر بن خالد: البلاغة التقرب من المعنى البعيد والتباعد عن خسيس الكلام والدلالة بالقليل على الكثير.

خالد بن صفوان: ليس البلاغة بخفة اللسان ولا بكثرة الهذيان لكنها إصابة المعنى والقرع بالحجة.

عمر بن عبد العزيز: البليغ من إذا وجد كثيراً ملاءه وإذا وجد قليلاً كفاه.

ابن عتبة: البلاغة دنو المآخذ وقرح الحجّة والاستغناء بالقليل عن الكثير. بعضهم: إني لأكره للإنسان أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله كما أكره أن يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه وعلمه. يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع.

عمرو بن عبيد: ما البلاغة فقال: ما بلغك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك بمواقع رشك وعواقب غيك فقال السائل ليس هذا أريد. فقال: من لم يحسن أن يسكت لم

يحسن أن يسمع ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول قال ليس هذا أريد. قال النبي عليه الصلاة والسلام: إنا معشر الأنبياء بكاؤون وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله فقال له السائل ليس هذا أريد قال كانوا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت فقال ليس هذا أريد فقال فكأنك إنما تريد تحير اللفظ في حسن إفهام أنك أردت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤنة عن المستمعين وتزوين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة عند الأذهان رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت من الله سبحانه جزيل الثواب. الخليل بن أحمد: كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقاً ولتلك الحال وفقاً وآخر كلامك لأوله مشابهاً وموارده لمصادره موازناً فافعل واحرص أن تكون لكلامك متبهماً وإن ظرف ولنظامك مسترياً وإن لطف بمواتاة آلتك لك وتصرف إرادتك معك فافعل إن شاء الله.

وهذه الرسالة عذراء لأنها بكر معانٍ لم تفرعها بلاغة الناطقين ولا لمستها أكف المفوهين ولا غاصت عليها فطن المتكلمين ولا سبق إلى ألفاظها أذهان الناطقين فاجعلها مثلاً بين عينيك ومصورة بين يديك ومسامرة لك في ليلتك ونهارك تهطل عليك شآبيب منافعها ويظلك منها بركاها وتوردك مناهل بلاغاتها وتدل على مهيع رشدتها وتصدرك وقد نفع ظمؤك بينابيع بحر إحسانها إن شاء الله عز وجل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

جابلق وجابلص أو جابلقا وجابلصا

كان الإفرنج قبل أن يعنوا بدرس اللغات الشرقية ينسبون أشياء جمة إلى العرب ويقولون عنها أنها خرافات لا نصيب لها من الحقيقة بل ولا أثر لها في عالم الوجود. ولما أخذوا بالبحث عن تلك الأمور والإيغال فيه ناموا يرجعون شيئاً فشيئاً عما عزوه إليهم تحكماً أو تمكماً وبدأوا ينضون إليهم مستصوبين أقوالهم. إلا أنه مما يمكن أن يقال في هذا الصدد أن الناطقين بالصناد بالغوا في ذكر بعض الأمور العرضية حتى كاد الجوهر يخرج عن طوقه بما حملوه الوهمية نقلاً عن ليسوا من فرسان الميدان. ومن هذا القبيل هاتان المدينتان اللتان نريد أن نبحت عنهما في نبذتنا هذه.

أخلاف اللغات فيها

قال في اللسان في مادة جيلق: التهذيب: جابلق وجابلص (أي بفتح الباء الموحدة التحتية وفتح اللام في كنيهما على ما ضبطتا كتابة) وأما في القاموس فقد ضبطهما أيضاً بالفتح في جابلق وبالفتح أو بالسكون في جابلص. وذكرها ياقوت في معجمه: جابرس وجابلق أي براء مهملة ساكنة بعد الياء الموصلة التحتية. وبلاد ساكنة بعد الياء في الثانية ورواها صاحب البرهان القاطع روايات مختلفة الذكر فذكر في ٢: ٧٩ ج بلسان في جابلق. ورواها أيضاً جابرسان وجابرُسا في جابلص. وحكى في شفاء الغليل إن المتكلمين يقولون جابلقاء وجبلصاء بالمد وخطأهم. وأرددهما الطبري في تاريخه بصور مختلفة أي جابرت وجابرس وهو يريد جابلص وجابلق وجابلقا وهو يرمي إلى جابلق. فهذه اللغات والروايات وإن اختلفت فهي واحدة في المرجع والأصل ثم اختلفت تبعاً لسنة المعرب أو الأعجمي على ما هو مشهور في ما أفرغ في قالب عربي. وتعاور اللام والراء في العربي الفصيح أمر مشهور كالطمنسَاء والظرمساء وداهية لبسَاء وربساء وناقة عبهر وعبهر

فكيف في الدخيل. ومثله يقال في تبادل التاء والسين في لغة معروفة في اليمن وهي الونم.
ولا حاجة في التصريح بأن السين والصاد تترادفان في العربية والأمثلة تفوت الحصر
(المزهر ١: ٢٢٦ و ٢٢٧).

أقوال العرب فيها

قال في التهذيب: جابلق وجابنص: مدينتان إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب لس
ورأهما إنسي روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه ذكر حديثاً ذكر فيه هاتين
المدينتين. أهـ.

وقال الإمام السهيلي في كتاب المبهمة: أظنها مجاورتي ياجوج وماجوج. وقد آمنوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم إذ مرّ في ليلة الإسراء فدعاهم فأمنوا. أهـ.

وقال الخليل: بلغنا أن معاوية أمر الحسن بن علي أن يخطب الناس. وهو يظن أن الحسن
سيحصر لحدائنه فيسقط من أعين الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها
الناس أنكم لو طلبتم ما بين جابلق وجابنص رجلاً جدّه ونبيّ ما وجدتموه غيّر وغير
أخي وأن أدري لعله فتنة لكم ومنازع إلى حين وأشار بيده إلى معاوية. أهـ.

وقد جاء حرف جابلق في شعر أبي الأسود الدؤلي على أنه اسم موضع معروف قد شاهده
فقد قال:

تلبس لي يوم التقينا عويمر ... بجابلق في جند أحسن باسل

فهذا كلام يشعر بأنهما التقيا بجابلق. وهي غير جابلق الواردة في حديث الحسن وهي التي
ذكرها أحمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الإكنيل إذ يقول: في جابلق وجابنص بقايا عاد
وثمود الذين آمنوا بآلهود وصالح.

وقال ياقوت في معجمه في مادة جابر س. مدينة بأقصى المشرق. يقول اليهود إن أولاد موسى عم هربوا أما في حرب طالوت (= شاول) أو في حرب بخت نصر فسيرهم الله وأنزلهم بهذا الموضع فلا يصل إليهم أحد وأقم بقايا المسلمين. وإن الأرض طويت لهم وجعل الليل والنهار عليهم سواء حتى انتهوا إلى جابر س فهم سكانها ولا يحصي عددهم إلا الله فإذا قصدهم أحد من اليهود قتلوه وقالوا: لم تصل إلينا حتى أفسدت سنتك فيستحلون دمه بذلك. وذكر غير اليهود أنهم بقايا المؤمنين من ثمود وجابلق بقايا المؤمنين من ولد عاد. أهـ. وذكر في جابلق: جابلق بالياء الموحدة المفتوحة وسكون اللام. روى أبو روح عن الضحاك عن ابن عباس أن جابلق مدينة بأقصى المغرب وأهلها من ولد عاد وأهل جابر س من ولد ثمود ففي كل واحدة منهما بقايا ولد موسى عليه السلام كل واحدة من الأمتين. أهـ. المقصود من إيراده.

وقال صاحب التاج في مادة ج ب ر س جابر سا آخر بلاد الدنيا (من جهة المغرب) وقال في جيلق: جابلق قد أوضح المولى سعد الدين البنددين وعرف بمسا وذكر معناها على الوجه الأكمل في بحث المثال في شرح المقاصد. ذكر ذلك الشهاب في شفاء الغليل. . . . أهـ قلت أنا: لم أر شيئاً في شفاء الغليل المطبوع في مصر مما ذكره صاحب التاج. نعم إنه تكلم عن البنددين إلا أنه لم يتطرق بكلمة بخصوص المولى سعد الدين. فاحفظه. وأما شرح المقاصد لسعد الدين فهو وإن كان يبيد إلا أنه لما كان خالياً من فهرس مرتب يهديني وحيّاً إلى مطلبي لم أتمكن من العثور على البحث المذكور فرجعت عنه بما رجعت به حينئذ.

وكفانا تتبعاً لأقوال الكتبة إذ اجتزأنا بذكره وفاء بالمقصود لا سيما أن الجميع يكررون أقوال بعضهم عن بعضٍ والنتيجة واحدة. والذي يستخلص مما تقدّم بعد طرح الزوائد الدخيلة انني جاء بها الإسرائيليون ما يأتي:

جانبص آخر البلاد المعنورة من جهة المغرب على ما كان يظنه أبناء ذلك الزمان وجانبق آخر البلاد من المشرق وجانبق تاور بلاد ياجوج وماجوج. وجانبص في أقصى المغرب وأقصى المغرب كان ينتهي في عرف الأقدمين عند بحر الظلمات في نحو الجزائر الخالدات أو في ما يسامتها. وعليه فيجب علينا أن نبحث عن جانبق أو جانبقا في ما يجاور بلاد ياجوج وماجوج ونبحث عن جانبص في ما ينتهي عند بحر الظلمات. وأول كل شيء نحتاج إليه في البحث عن ضالّتنا أن ننظر إلى الكنية ونفحصها لنعرف مآثاها. والحال أن العلماء قد اتفقت على أن اللفظة ليست بعربية ورجحوا كونها فارسية. لأنهم يقولون أن الجيم والقاف أو الجيم والصاد لا يجتمعان في لفظة عربية وإذا وجدتا فهما يدلان على أن الكنية أعجمية أو فارسية. فإذا تقرر أنّها فارسية يتضح لك أن وجود جا في صدر كلا الحرفين يدل على أن اللفظة مركبة وأن جا تعين معنى يصح أن يقع على الكلمتين. وهو أمر لا ريب فيه فإن جا حرف فارسيّ معناه اخل والمكان والمقام. أو كما يقول العرب الدار التي وردت بمعناها الأصلي الحقيقي وبمعنى البلد والمدينة. لأن أول ما تنسا عليه المدينة تكون داراً ثم تتنحى دور أخرى بجانبها حتى تقوم منها البند أو المدينة. فقد قالوا دار السلام ودار الإسلام ودار السعادة ودار الحرب إلى آخر ما هنالك. وأما بلقا أو بُلقا فيجب أن تكون اسم مدينة في آخر البلاد المعنورة من جهة الشرق مما يجاور بلاد ياجوج وماجوج وهذا ما يصدق على بلدة بلقا وبالفرنجة وهو اسم نهر عرفه العرب

أيضاً لخروجهم من سقي ذلك النهر. ويشهد على صحة ذلك وجود مدينة هنالك تسمى إلى اليوم بنقاري أو بنغاري وهم يكتبونها بحرف تمييزاً لها عن أو للبلاد المشهورة. واللاحقتان بآخر الكنم تدل على البلاد كما في كما أن جا في رأس الألفاظ تفيد هذا المعنى عند الفرس ومنها جابروان وجابق وجاجرم وجاجن وجاسك وجاكرديزه وجالقان وجاورسان إلى غير هذه.

وأما جانبص أو جابرسا أو جانبنا أو جانبنا فهي: بنص أو برصا أو بنصا أو بنسا بعد تجريد جا عنها. وإذا فتشنا عن مدينة بهذا الاسم في منتهى المغرب المعروف في ذلك العهد وجدناها باسم بنسا أو بنصا في بلاد لوسينانية أي هي البلدة المعروفة اليوم باسم تافيرة في بلاد البرتغال.

وإذا عنمت ذلك ظهر لك أن لا حق للأجانب أن ينسبوا العرب إلى الجهل والقول بالخرافات والله الهادي إلى كل صواب.

بغداد —

ساتسنا

نظرة في نخب الذخائر في أحوال الجواهر

وقفت على نسخة مضبوطة قديمة العهد من نخب الذخائر وعنقت عليها بعض حواشي وملاحظات لأنشرها في إحدى الجلات. فسبقتني إلى ذلك مجلة المشرق البيروتية في سنتها الحادية عشرة صفحة ٨٥١ وبالمقابلة وجدت أن نسخة المشرق ليست بمضبوطة كل الضبط وقد وقع فيها أغلاط وسقط منها عبارات وكلمات فترقت فرصة أخرى أنشر نسختي مع حواشيها وملاحظاتي على مجلة المشرق. ولما زرت حنب في الصيف الماضي